

امكانيات العربية

(جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الجديد)

الإسناذ خير الدين حقي المهندس
في كلية الهندسة بجامعة حلب (سورية)

((ان عبقرية اللغة العربية متأتية من توالدها ، فكل كلمة فيها تلد بطونا ، والمولودة بدورها تلد بطونا أخرى ، فحياتها منبتقة من داخلها . وهذا التوالد يجري بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هي غاية في السهولة والعذوبة)) .

1 - المصطلح العلمي :

العلمية ، ولا سيما ان أقطارنا العربية المتمددة لا تخضع لسلطة لغوية واحدة تفرض الكلمة او القاعدة لتصبح عامة للجميع . ولهذا تعددت المصطلحات للدلالة على شيء واحد بين قطر وآخر ، او بين جامعة وأخرى في القطر الواحد ، مما أفقد بلادنا وحدة التفكير العلمي . على ان الأمل معقود على مكتب تسيق التعريب للخروج من هذه البلبلة .

2 - أساليب اللغة العربية :

ان التفاهم في اللغة العربية لا يجري باللفظ المجرد ، فحسب ، بل يكون أيضا بالأعراب والتصريف . فالحركات من جهة ، والأوزان أو القوالب التي تصاغ فيها الكلمات من المصدر الأصلي من جهة أخرى ، هي القواعد أو القيود التي يجب التزامها والتمسك بها لتبتعد عن الغموض . وان حسن اختيار المصدر الأساسي للكلمة أو الفعل الذي يجري الاستقاق منه يفصح عن المعنى ويزيد الدقة في المصطلح المراد إيجاده .

سبيلنا في وضع مصطلح جديد هو الاستقاق ، وهو الأصل والمعين الذي لا ينضب ، ثم النحت . وهذا الأخير - وان زاد استخدامه في عصرنا - لا يتعدى ترجمة المصطلحات المنحوتة في اللغات الأجنبية المترجم عنها .

ومنعم النظر في الصيغ العربية يدرك انها لم توضع بالشكل الذي هي فيه باطلا :
- فالحروف التي تكون الكلمة ،

ان المصطلح العلمي كلمة كغيرها من الكلمات اللغوية تشير الى شيء حسي او معنوي ، لا بد من ايضاح مفهومه اول مرة ، حتى لا ين اللغة نفسه ، كما لو كان يتعلم لغة جديدة ، لكي يدرك ذاك المفهوم ، ويعتد يثير اللفظ في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه . ويتم الانتقال الى الاشياء الحسية عن طريق هذه الصورة الذهنية ايا كان اللفظ الذي اطلق عليها . اقول ايا كان اللفظ فكلمة ((شمس)) توحى الينا صورة الكوكب المعروف ، وكلمة ((دار)) توحى الينا صورة المسكن الذي ناوي اليه ، وقد كان بالإمكان ان نسميها باسماء أخرى . وهكذا الحال في كل مصطلح علمي اذا ما أعطى للكلمة الشرح الكافي الدقيق فيما تدل عليه ، على ان يلتزم اللفظ بأصول اللغة ، وهو القيد الوحيد او مجموعة القيود التي يجب التمسك بها ليأتي اللفظ دقيقا لا غموض فيه .

أية كلمة - مهما كانت - هي كلمة علمية فان لم تدخل تحت هذا العلم دخلت تحت علم آخر . فالبحث عن المصطلحات العلمية معناه في الحقيقة بحث اللغة وامكاناتها في التعبيرات الحضارية .

والمتشغلون بوضع المصطلحات العلمية هم اساتذة الجامعات بالدرجة الاولى ، ثم الجامع اللغوية ، وبعض الافراد ، واجهزة الاعلام والصحافة ، ولا رابطة بينهم ، لذلك بدأ الاضطراب في المصطلحات

— والحركات على الحروف في الصيغة ،

— والصيغة نفسها

لكل منها وظيفة مقصودة ، فلم تات اعتبارا .

فعل (بالفتح) وفعل (بالكس) . ولكن في كثير منها قول آخر يعيدها الى وزن ((قعل)) اللزوم ، اي يعيدها الى القاعدة الاصلية .

فهيء مثلا : سخن وسخن ، وصلح وصلح ، وشحب وشحب ، وخثر وخثر ، ورغف ورغف ، وغيرها .

كما نجد ايضا : سفه وسفه ، وسخى وسخو ، وعجف وعجف ، وحقق وحقق ، وغيرها .

ومما يزيد اعتقادي بصحة وظيفة الضمة للاكتفاء استخدامها ايضا في الافعال المبنية للمجهول والتي هي في مضمون معناها كالافعال اللازمة ، اذ تصاغ هذه بالضمة في اول الفعل الماضي والمضارع مثل ((كسر الفصن ويكسر الفصن)) وهي على وزن واحد هو ((فعل يفعل)) لجميع ابواب الفعل الستة . فهذا الشمول ايضا يبعث على الدهشة في منطق اللغة العربية في ايجاد صيغ عامة كانتها نوايسس طبيعية او نساير رياضية .

وعند حذف الفاعل في الافعال المبنية للمجهول تدخل الضمة على المفعول به لترفعه الى مرتبة الفاعل دليل الاكتفاء الذاتي بعد حذف الفاعل .

والمبتدا والخبر مرفوعان بعد حذف الفعل من الجملة ، او بالاحرى بعد اكتفاء الجملة بالاسمين دون فعل يربط بينهما .

فكانما الضمة في ذهن العربي الاول حركة تشير الى ان في الكلام اكتفاء واختصار شيء ما .

وقد يكون من المفيد دراسة اسباب رفع الفاعل واسم كان وخبر ان واخوانهما ، فهل يكون السبب هو حصر الاهتمام في المقصود اكثر من سواه ؟

ولعل من المفيد ايضا كشف ما تعنيه الفتحة والكسرة والسكون في ذهن العربي الاول ، فقد يعيننا هذا في الافصاح عن خبايا تسهل لنا سبل الاستقاق .

وعلى كل حال ، مهما كانت الاسباب او النتائج ، فان ما يدعش حقا هو ميل العرب الاوائل الى ضبط لغتهم في مجار موحدة وقواعد شاملة بمنطق حضاري سليم .

ب) الاوزان :

ان ما احصى من افعال مستعملة وكلمات مجردة لا يزيد على خمسة آلاف كلمة الا قليلا ، وهذا كسل ما في اللغة العربية من اصول او مواد يمكن الاستقاق منها .

فاللغة العربية تبدو اذن فقيرة جدا في مصدرها ، فمن اين اتت عظمتها التي يعترف لها بها الجميع ؟

فقد بدا البحث في خصائص الحروف منذ القرن الهجري الثاني واستمر الى يومنا هذا . فبحثها قديما الخليل بن احمد وسيبويه وابو علي الفارسي وبخاصة ابن جنى الذي كان اوسمهم بحثا وانقهم ملاحظة ، فاورد لكل حرف من الحروف امثلة كثيرة على المعنى الثابت لكل حرف او لاجتماع الحروف في الكلمة ، حتى اوحث هذه الظاهرة الى بعض الباحثين في العصر الحديث بنظرة ((القيمة)) التمبرية او البيانية

للحرف في الالفاظ العربية)) . وما زال باب البحث

مفتوحا في هذا المجال الذي لم تدرك بعد كل نواحيه ، ولكن منزلته تاتي في المرتبة الثانية في بحثي هذا . لذلك فاني ساحاول ، فيما ياتي طرح ما هو اهم واعنى خصائص بعض الحركات ، وكذلك ساختار من بحث الاوزان اسماء الآلة وبعض الاوزان الاخرى كما تتراى لي ، وكما استعملها في الترجمات للمصطلحات العلمية ملتزما منطق اللغة كما ارادها واضعوها الاوائل ، على ظني .

أ) الحركات :

ان العرب ما ليس لغتهم في هذا الباب ، فبالاضافة الى ما للحركات في الاعراب من شان ، هي ايضا وسيلة يفرقون بها بين المعاني ، فيقولون مفتاح الآلة التي يفتح بها ، ومفتاح لموضوع الفتح . ومقص آلة القص ، ومقص للموضع الذي يكون فيه القص .

وكذلك فان الفعل الثلاثي هو الغالب في اللغة العربية ، وهو ستة ابواب كما هو معلوم ، وهذه الابواب سماعية مع الاسف . ولكن الا يوجد في تنوع هذه الابواب الستة منطق ما ؟ يخيل الى انها لم توضع عبثا .

فلو أخذنا الباب الخامس مثلا ((فعل ، يفعل)) الذي يمتاز بالضمة في الماضي والمضارع ، نرى جميع الافعال التي على هذا الوزن بلا استثناء واحد منها هي افعال لازمة . ان هذا الشمول يبعث على العجب ويلفت النظر الى وظيفة الضمة المكررة في الماضي والمضارع كأنما تشير الى اكتفاء الفاعل بذاته . وفي اللغة العربية افعال لازمة ايضا على وزن

ان عبقرية اللغة العربية متأتية من تولدها ،
فكل كلمة فيها تلد بطونا ، والمولودة بدورها تلد
بطونا اخرى ، فحياتها منبعثة من داخلها . وهذا التوالد
يجري بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هي غاية
في السهولة والعموية .

فبإضافة حرف أكثر من الحروف المجموعة بكلمة
(« سالتونيتها» على الفعل أو الاسم تستنبط الاوزان)
وقد عد سيبويه منها أكثر من ثلاثمائة واحصى منها ابن
القطاط بعده ما ينيف على الف ومائتين .
وليس في هذا الرقم مبالغة ، لان حسابها
يسرا يظهر بسهولة انه بإضافة حرف أو حرفين أو
ثلاثة أو أربعة من هذه الحروف العشرة الى أصل
ثلاثي ما ، في جميع التراكيب الممكنة ، يمكن ان يستنبط
حوالي عشرة آلاف تركيب مختلف . ولكن ما يستعمل
منها لا يؤلف الا نسبة ضئيلة جدا ، حتى لو كانت
الف وزن ، فانها لا تؤلف الا العشر .

ولو فرضنا ان مائة وزن مستعملة وسطيا فان
مفردات اللغة العربية تبلغ نصف مليون كلمة ، وهو
رقم يضع اللغة العربية في مصاف اغنى اللغات .
فالعمل يدل على المعنى العام ، اما الوزن فانه
يدل على وظيفة الكلمة .

فوزن « فاعل » مثل كاتب يدل على من قسام
بالفعل . ووزن « بفعلول » مثل مكتوب يدل على من
وقع عليه الفعل ، وهكذا في بقية الاوزان .
وعلى الرغم مما كشفه لنا الباحثون وملأوا به
الكتب من عجائب هذه الاوزان فانه ما زالت فيها
زيادة لمستزيد .

واننى اجد هنا مجالا لان اقتبس من محاضرة كنت
القيتها عن اسم الآلة لكشف بعض خصائص اسمائها
التي لم يشر اليها احد .
تقول كتب الصرف ان لاسم الآلة ثلاثة اوزان
هي :

- مفعل كجبرد
- ومفعال كمصباح
- ومفعلة كمكينة

وتقول : ان كل هذه الاوزان لا يقاس عليها ،
ولكن الغالب في معتل اللزوم وزن مفعلة نحو : مطواة
ومشواة ومصفاة .

ويبنى اسم الآلة المشتق من الثلاثي المتصلى
عليها . وقد يكون من غير الثلاثي كمنزّر من (انزّر) ،
أو من الثلاثي اللزوم كالمرقاة من (رقى) ، أو من الاسم
الجامد كالمحبرة من (الحبر) .

واننى اسأل : لماذا لا يقاس على هذه الاوزان
ونحن في أوج معركة التعريب ؟ اليس لها ضوابط ؟

لقد حلت في محاضرتي السابقة خصائص كل
وزن من اوزان الثلاثة فوجدت ان جميع اجهزة القياس
التي كانت معروفة تنحصر في وزن مفعال مثل : ميزان ،
مكيال ، مثقال ، معيار ، ميقات ، مسبار الخ .

لذلك يجدر بنا ان نخصص هذا الوزن للجهاز
الذي ينفع للقياس ، والمرادف في اللغة الفرنسية
لكلمة — mètre أو ما معناها فنقول مثلا :

Spéctromètre	— مطياف لقياس الطيف
Pluviomètre	— ممطار لقياس المطر
Anémomètre	— مرياح لقياس الريح
Baromètre	— منواء لقياس النوء
Manometre	— مضغط لقياس الضغط
	(لا مضغط الذي ورد في المتجدد)
Thermomètre	— محرار لقياس درجة الحرارة
Oalorimètre	— مسعار لقياس كمية الحرارة
Vélocimètre	— مسراع لقياس السرعة
Tachymètre	— مدوار لقياس عدد الدورات
Fréquenomètre	— مرداد لقياس التردد
Refractomètre	— مكسار لقياس انكسار النور
Dynamomètre	— مجهاد لقياس الجهد

وغيرها فنخصص هذا الوزن لاجهزة القياس
كافة ونحصرها به ونترك الكلمات القديمة التي على
هذا الوزن دون ان نتعرض لها حتى لو لم تكن وظيفة
للقياس مثل مفتاح ومنتشار وسواها . اما الكلمات
الحديثة الوضع كترجمة Tire-Ligne بمسطار —
و Manomètre بمضغط كما وردتسا في (المتجدد)
فحبذا لو وردت الاولى (مسطارا) على وزن (مفعول)
والثانية (مضغاطا) على وزن مفعال ، جريا على
الملاحظة التي اوضحناها سابقا .

من هذا نرى انه بمجرد تعرفنا القصد من وضع
صيغة « مفعال » يتيسر لنا ايجاد مسميات كثيرة دون
تردد أو التباس ، وقد ترك لنا الباب مفتوحا لادخال
مسميات جديدة قد لا تكون في وقتنا الحاضر ، لكن المكان
مهيأ لها سلفا منذ الآن لتحتله في المستقبل .

واذا استعرضنا اسماء الآلة التي على وزن

(مفعول) مثل مبرد ومبرد ومثقب ومنقش ومحفّر ومشروط ومبضع ومنزح ومحجم وغيرها نجد أنها أدوات تقوم بعمل مباشر ، فنتركها لمثل هذه الوظيفة .

وهذا ما يوضح لنا ما أشرنا اليه سابقا من أن تسمية Tire-Ligne بمسطار تخالف فكرة الوزن الصحيح ، لأن هذه الأداة تقوم بعمل مباشر وكان يجب أن تسمى بمسطر . ومثل هذا نسمي مخرها ومكسحا ومغززا ومصقلا ، وغير ذلك مما تجده في الأجهزة الحديثة .

أما إذا استعرضنا الأوزان التي على وزن «مفعلة» مثل محبرة ومغسلة ومكنسة ومبخرة وملمعة ومطرقة ومسطرة وغيرها فنجد أن ما يشتق على هذا الوزن هو آلة تقوم بعمل غير مباشر فهي بالاحرى وسيلة . فالمحبرة وسيلة لحفظ الحبر وليست هي التي تصنع الحبر ، والمغسلة وسيلة للفصل وهكذا . بهذا نرى أن: مصفاة ومشواة ومطواة قد خصمت للقاعدة وعبرت عن وظيفتها لا لأنها معتلة العين فقط . فالوزن ، كما يتراعى لنا ، هو العامل المسيطر في التعبير عن الوظيفة قبل الأخذ بآية اعتبارات أخرى .

ولدينا وزن آخر جدير بالعناية وقلما يذكر في اسم الآلة ، وإنما يذكر للالوان مثل دهان وصباغ ، أو للباس مثل غطاء وبنار وحجاب ، وهو وزن «فعال» الذي يأتي على وزنه للآلة أسماء كثيرة مثل: حزام ولجام وزمام وخطام وخزام وقرباب وسوار وزناد وسنان وغيرها . وهذه الأدوات تقوم بعمل مباشر أيضا كالادوات التي على وزن «مفعول» ولكن هنالك مع ذلك فارقا بين المجموعتين . فما كان على

وزن مفعول لا يزول منه اثر الآلة بعد زوالها . فالمبرد يبقى اثره بعد البرد ، وكذلك المبضع والمنقر وغيرهما . على أن زوال الآلة التي على وزن فعال لا يبقى اثرا يدل على وجودها .

وفي لغتنا أوزان أخرى حملها المحدثون معنى اسم الآلة فأدته بكل يسر وسهولة مثل :

فاعل وفاعلة	نحو نابض وباخرة
وفعال وفعالة (1)	نحو جرار وطيارة
ومفعل ومفعلة	نحو محرض ومنوبة

وغيرها من الأوزان التي علينا الا نستعملها باعتبارها دون أن نحدد وظائفها وخصائصها حتى لانقع في الفموض والخروج على منطلق اللغة العربية الذي تمتاز به من سائر اللغات بضوابطها الدقيقة .

(ج) المفردات :

لعل بما قدمت عن الحركات ، كما تبدوا لي ، بالإضافة الى ما اقتبسته من محاضرتي السابقة عن اسم الآلة قد توصلت الى ابراز ناحيتين جديرتين باهتمامنا في خصائص اللغة العربية هما :

— تأثير الحركات

— والأوزان ونقتهما

فهما السلاحان الماضيان في أيدينا لوضع المصطلحات الحديثة ، يضاف اليهما ما تركه اسلافنا من مفردات غنية يمكن أن تكون لنا عوناً في الانتقاء للكلمة التي هي أصلح وأدق من بين مجموعات الكلمات التي تتصل بمعنى واحد ، وذلك سواء أكان المقصود لشيء مادي أم لتعبير حسي أم لتصور نفسي مما تتطلبه العلوم العصرية من دقة وانضباط .

وفي تراننا نخر من هذه المفردات مبنوية مثل مجلدات مثل فقه اللغة للثعالبي وكتاب الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لاجميد بن فارس وادب المكاتب لابن قتيبة وغيرها .

ولابد لي من أن أقتطف نمونجات ثلاثة من مئات غيرها ، الواحد لشيء مادي ، والثاني لشيء حسي ، والثالث لشيء عاطفي .

فكمثال لشيء مادي ساورد ترتيب ما ارتفع من الأرض من الجبل الصغير الى الجبل الطويل العظيم : فاصفر ما ارتفع من الأرض هو النبكة ، ثم الرابية اعلى منها ، ثم الاكمة ، ثم الزبية ، ثم النجوة ، ثم الربيع ، ثم القف ، ثم الهضبة (وهي الجبل المنبسط على الأرض) ، ثم القرن (وهو الجبل الصغير) ، ثم النك (وهو الجبل المنبسط) ، ثم الضلع (وهو الجبل ليس بالطويل) ، ثم النبق (وهو الطويل) ، ثم الطود ، ثم الباذخ والشامخ ، ثم الشاهق ، ثم المشمخر ، ثم الانود والاششب ، ثم الايهم ، ثم القهب (وهو العظيم مع الطول) ، ثم الخشام .

والجبل بين حضيضه وقمته تفاصيل دقيقة ، وكذلك نرى لانواع الارضين والوهاد والتراب والطين

(1) اجاز الجمع اللغوي وزن فعالة لاسم الآلة كعمارة وطيارة .

آلاف من ضروب الحب أو البغض كلها مختلفة ، وكذلك الحال في موضوع الأمان وملاننا » .

فهل ينطبق هذا القول على اللغة العربية ؟ وهل تكون هذه السعة والدقة في المعاني وصمة في لغتنا كما يريد بعضهم أن يتبها بها ؟

ان في بطون المعجمات والكتب العربية الكثير من الكلمات التي يمكن أن تجد لها مدلولاً حضارياً ، إما بانطباق المعنى على المعنى المراد ترجمته انطباقاً دقيقاً ، أو بالاستعارة أو بالتشبيه ، فمن تعجز العربية بما فيها من غنى من جهة ، وبحسب طرق الاستنباط المنطقي للكلمات من جهة ثانية ، عن استيعاب الحضارة مهما اتسعت .

3 - المصطلحات القديمة والمصطلحات الحديثة :

إذا قلت ان « اللغة العربية تستطيع استيعاب الحضارة مهما اتسعت » فلا أعني مطلقاً انه لا بد ان نجد كلمات تغطي حاجات العصر وهي الآن في بطون كتبنا ويكفي التفتيش عنها حتى نجدها . لا ، اننا لسنا اصلاً في هذا العصر بحاجة الى ان نستخدم مثل هذه الطائفة من الكلمات للتعبير عما ارتفع من الارض او عن تغير الماء . فالمدينة الحديثة أصبحت لا تبنى مقاييسها على الاحساس فقط ، اذ قد يكون الماء الذي اراه انا اجناً يراه غيري شروباً . ان الدقة العلمية تستند اليوم الى القياسات ، واذا كان معروفاً منها قبلاً الاطوال والمساحات والحجوم والاوزان والمكاييل والزمن واشياء اخرى فلم تكن هذه أيضاً تقدر بوحدات محددة . فالذراع الهاشمية غير الذراع التجارية وهما غير ذراع البناء . والقصبية في مكان تختلف عنها في مكان آخر وهكذا الفرسخ والرطل والواقية والدرهم والارديب وغيرها مما يفقد الدقة تماماً .

اما اليوم فان المتر والفرام والثانية والليتر وغيرها واجزاءها واضعافها هي وحدات عالية لها مدلولات ثابتة . وعليه فان تقدير الجبال مثلاً يجري بتحديد أطوالها وعروضها وارتفاعاتها مقدرة بالوحدات الاساسية مما اغنانا عن كلمات كثيرة للتمييز كانت ضرورية في تلك العصور .

والتطور الحضاري اوجب الاتفاق على وحدات ثابتة لقياس كل مكتشف حتى ما كان يظن انه لا يمكن قياسه كالسمع ومقدار حساسية الاذن ، والانفاس بلاهتزازات الصوتية . والرؤية بالعدسات وتأثرها

والطرق والحفر وغيرها ما يميز بعضها من بعض في تغيراتها تقلباتها .

اما لما يقع تحت الحواس فاتي اضرب مثلاً عن تغير طعم الماء .

— فالماء الشريب هو الماء الذي ليس فيه عذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه .

— الماء الشروب هو دون الشريب في العذوبة ولا يشربه الناس الا عند الضرورة .

— والماء الههيج لا عذب ولا ملح .

— والماء الزعاق ماء مر لا يطاق شربه .

— والماء الاجن الماء المتغير الطعم واللون غير انه شروب .

— والماء الجوى منتن فوق الاجن .

— والماء الملح خلاف العذب (ولا يقال مالج)

— والماء الاجاج ملح مر

— والماء القعاق اشتدت مرارته (تحترق منه

اجواف الابل)

— والماء الآسن لا يشربه احد من ننته

وهكذا الماء السماء والماء العذب والماء البارد والماء الساخن والماء الضاق والماء الكدر وجري الماء وتفجره وانبثاقه ورشحه وصوته نجد لكل هذه الحالات ولحالات كثيرة غيرها مسميات بحسب التفسيرات والصفات التي يحملها الماء .

وكمثال على ما يخالج النفس اضرب مثلاً عن الحب وتفصيله :

فاول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة ، وهي الحب اللازم للقلب . ثم الكلف ، وهو شدة الحب . ثم العشق ، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب . ثم الشغف ، وهو احراق الحب القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج فان تلك هي حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق . ثم الشغف ، وهو ان يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه . ثم الجوى وهو الهوى الباطن .

ثم التيم وهو ان يستعبده الحب . ثم النبل وهو ان يسقمه الهوى . ثم التذلي ، وهو ذهاب العقل من الهوى . ثم الهيوم وهو ان يذهب على وجهه لقلبة الهوى عليه .

ومثله للغضب والحزن والفرح والبكاء وغيرها . وهنا يحضرني ما قاله الكاتب المرحف فونتس « ان اللغة ، اية لغة ، تعجز عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا ، فالفروق كثيرة لا تكاد تلمس ، فتضطرنا اللغة مثلاً ان نعبر بلفظ الحب أو البغض عن

بالإضاءة • والنور بالطيف واهتزازات موجاته وشدة وضعفه • ولابد أن للشم والنور والاحساس وحدات قياسية أيضا • واكتشاف الكهرباء والمغناطيس واستخدمهما وغيرهما من الطاقات كالحرارة والجاذبية الأرضية والطاقة الشمسية أو النووية كل أولئك قد خلقت وحدات للقياسات تعين جهودها وشدها ومفعولها ودرجتها وكميتها بوحدات معرفة بتعاريف لا ياتنها الخلل ، مما يجعل المصطلح العلمى بحسب هذه الوحدات مفهوما بقدر دقة هذه الوحدات •

فالماء المتغير وغيره مثلا ليس بحاجة الى ان نطلق عليه مجموعة من الاسماء تتعب الذهن ويستحيل حتى على الضليعين باللغة استظهارها ، وانما يقرر تغيره بمقدار ما يحويه من املاح او اجسام عضوية او جراثيم بحسب ما تظهره القوص المخبرية المستندة الى قواعد علمية وقياسات نوعية •

وإذا كانت القياسات والتعبير بالوحدات الاساسية يعقد المسمى اولا ياتى بالوضوح فان أسلوب التسمية يتغير بما يجعله اكثر وضوحا • فاسماء المركبات الكيماوية مثلا ، وبخاصة مركبات الكيمياء العضوية تعطى نهونجا ممتازا لهذا النمط من التسمية •

فمن المعروف ان ما اكتشف من مركبات الفحمانيات Hydrocarbons قد بلغ مئات الالاف مما تعجز اغنى اللغات واوسع الادمغة عن ان تجد لكل منها اسما خاصا • الا انه بحسب تركيب ذرات الفحم في المادة وتفرعاتها وبحسب الوظائف الكيماوية للجسم من حمض او ملح او كحول او اميد او امين او سواها يمكن بيضع عشرات من الكلمات تغطية كل هذا العدد الضخم من الاجسام وايجاد مسميات جديدة لها بطريقة تصلح في المستقبل لتسمية اجسام لم تكتشف بعد ، وذلك بحسب قواعد تنبئ عن تركيب الجسم ووظائفه في آن واحد • وان كان يعاب على هذه الطريقة ان قوام الاسم كلمات ، تؤلف أحيانا جملة طويلة ، لا احرف تختصر الاسم ، فان هذا النقص لا يكون عيبا ينقص من قيمة هذه الطريقة التي حلت المشكلة على وجه ممتاز •

فأوجه التسمية والدقة في التعابير قد اختلفت اذن بين الماضي والحاضر اختلافا كبيرا ، ويبدو ان اللغة العربية سوف تفقد امتيازها بوفرة مفرداتها وسوف تنقلص لتتخصص في نطاق الكلمات الاصليّة وتصبح لغة محدودة • وبالتالي فانها ستعنى بخسارة

جسمية ، ولكن ليس في جميع الميادين بل لا بد ان يبقى قسم كبير من هذه المفردات قائما في مسميات كثيرة ليدل على غنى اللغة وسعتها • فاذا كان العلم قد حدد للاشياء المادية قياساتها ، واخضع الحواس ايضا الى مقاييس ، فانه حتى الآن لم يخضع العواطف والهواجس النفسية لمثل هذه القياسات ، وستبقى اللغة العربية في الظلمة في هذا المضمار ، الى ان ياتى اليوم الذي تخضع فيه هذه ايضا للقياسات المخبرية • فقد تكتشف موازين للسحب والبغض والصدقة والفرح والنخوة والبروءة • الخ ، وعندها ند بسأل المرء عما سيقى لنا من مزاي لفتنا ؟ ولعل صرح هذا السؤال الآن ليس سابقا لاوانه ؟

٤ - العربية لغة الضوابط :

نعم ، ان السؤال لا بد ان يطرح الآن وفي يقيني انه ليس سابقا لاوانه • فهل يكفى ان نترصد ظهور الكلمات العلمية وان نجد لها ما يعطى معناها ؟ ان ايجاد كلمة مهما كانت موفقة لا تغنى اللغة الا بهذه الكلمة فقط ، لكن ايجاد قاعدة تنطبق على مجموعة من الكلمات ، كلها امكن ذلك ، معناه ادخال عدد وافر من المصطلحات في اللغة واغناؤها بها دفعة واحدة •

فللاوزان في لفتنا سر عظيم وهي وسيلة بارعة في توسيع اللغة وامتدادها في جميع الاتجاهات ، على ان نسمح بتعميمها والقياس عليها فلا نقف عند حدود الكلمات التي اوردها اسلافنا فحسب •

ولقد لمسنا في تعميم اسماء الآلة مبلغ جدوى هذا التعميم في ناحيتين :

- ايجاد مسميات لآلات القياس مثلا بكل سهولة • بعد ان تحدد معنى وزن مفعال •

- امكان تطبيق هذا الوزن على ما قد يكشفه اي التوسع والامتداد في اللغة •

ان خدمة اللغة الحقيقية هي في سلوك هذا السبيل وتعبيده ما امكن ليسهل سلوكه للجميع • واننا اذا فقدنا عددا من المفردات فنسنعوض بهذه الطريقة اضعافه وبمدلولات ادق ، ولن يضرنا ايضا ان نفقد عددا من الكلمات لتادية معنى واحد مثل ما في :

« غلب الرجل وغلب عليه (يقلب) غلبا وغلبا وغلبة ومغلبا ومغلبة وغلبى وغلبى وغلبية وغلبانية » ان كل هذا قد فات او انه ولم يبق له ذلك السحر القديم •

فالأوزان في اللغة العربية قد غطت أغراضا مختلفة مثلها تغطي أوتار الآلة الموسيقية مدروجيات الانغام ... Harmonies والمهارة في استعمال هذه الأوزان لتشييع حاجات العصر مثلها يشييع العازف اللحن بهذه الأوتار مهما ابتكر من الإلحان .

فنقل الفعل المجرد مثلا الى أوزان المزيد قحدر غطي أغراضا كثيرة ومختلفة كالتعمدية والتكثير والسلب والمشاركة والصرورة والمطاوعة والتكلف والطلب والانتساب والتدرج والمبالغة والتحول وغيرها . فلماذا تبقى سماعية ولا تميم ؟

والمشتقات من لفظ الفعل ، والأوزان الأخرى العجيبة المدلولات في دقة معناها واختصار مبنائها ، لماذا تبقى محدودة العطاء ؟ وقد نفتش أحيانا عن جملة لترجمة مصطلح مع أن وزنا مجهولا كان يمكن أن يؤدي المعنى بدقة .

ان المصدر يحدد معنى الفعل والوزن يحدد الوظيفة كما قلنا . فلو غاب عنا معنى الفعل لا تغيب عنا الوظيفة المقصودة بمجرد سماع الوزن وهذا يؤلف نصف الفهم على الأقل . فلو قلنا « كظيم » نفهم أن احدا أو شيئا انصف بالكظم ولو لم نفهم معنى « الكظم » ، كما نفهم بسهولة من كريم وفهم من انصف بالكرم والفهم . وكذلك من : أكرم وأفهم من تجاوز في كرمه الكريم وفي فهمه الفهم .

وان كلمة شروب معناها الماء القابل للشرب والمرادفة لكلمة ... Potable في الفرنسية . وكثيرة هي الكلمات الفرنسية المنتهية بالزائدة able أو الزائدة ible فوزن « فقول » يمكن ان يقوم مقام هذه الزائدة فنقول :

- شروب (قابل للشرب) Potable
- صدوء (قابل لان يصدأ) Oxidable
- بدول (قابل للتبدل) Variable
- صمود (قابل للصمود أو قادر عليه) Tenable
- قلوب (قابل للانقلاب) Reversible
- عكوس (قابل أو قادر على عكس النور) Reflectible
- مدود (قابل للتمدد) Extensible
- طقوء (قابل للاطفاء) Extinguible

ويمكن ان نطلق الوزن نفسه على ما يفيد المعنى

السالف الذكر مثل شفوف للجسم الذي يمكنه ان يشف قليلا Translucide وقد ترجمه كثيرون « بنصف شفاف » مع أن وزن فقول يغطي المعنى بيسر .

ولابد ان نشر الى أن وزن فقول يفيد المبالغة ايضا كودود وصفوح . ولكن لما كان للمبالغة أوزان كثيرة فقد يكون من المفيد استثناء هذا الوزن منها للمصطلحات العلمية الحديثة وقصره على المعنى السابق .

وإذ نقول « آلة قلوبية » (1) كالدينامو ... Dynoma مثلا فان ذلك يفيد ان هذه الآلة تقوم بعملين متعاكسين : فان ادناها انتجت تيارا كهربائيا ، وأن غزيناها بتيار كهربائي دارت . وكذلك العنفة Turbine ، التي ان غزيناها بتيار مائي دارت ، وان ادناها دفعت الماء كالمضخة النابذة . وهكذا في الكلمات الأخرى التي لها مدلولات يؤديها الوزن « فقول » بكل دقة .

وفي الكهرباء حوادث كهربائية مختلفة لكنها مشتركة في صدها للتيار كالمقاومة الكهربائية Résistance فصيغت في اللغة الفرنسية باسماء استعمرت لها الزائدة ance الظاهرة في آخر كلمة Résistance على أن وزن « مفاعلة » يفنى لاداء المطلوب فنقول :

- مقاومة résistance
- ممانعة Impédance
- محارضة (من التحريض الكهربائي) Inductance
- مواسعة (من السعة الكهربائية) Capacitance
- معارضة (مغناطيسية) Perditance
- مضابعة (من الضياع) Admitance
- مسايرة

كما نستعمل المصدر الصناعي باضافة الياء المشددة والهاء في نهاية بعض اوزان الاسماء المشتقة للدلالة على ما يتميز به الاسم كما أو كيفا ، فنقول :

- إنتاجية Productivité
- قلوبية Reversibilité
- مقاومية Résistivité

فالمقاومية مثلا غير المقاومة ، إذ نقول « ان

(1) وزن (نعول) بمعنى فاعل يأتي بصيغة واحدة للذكر والمؤنث نحو : ولد ضحوك ، وبنت ضحوك لكننا نفضل تجاوز هذا الشذوذ وتطبيق قواعد التذكير والتانيث المألوفة في استعمال هذا الوزن لهذه الغاية .

ومقاومة التماس هي أقل من مقاومة الحديد) . على أن مقاومة سلك معين من النحاس قد تفوق أضعاف مقاومة سلك معين من الحديد ، مثلما نقول أن القطن أخف من الحديد (ونعني بذلك الكثافة) على أنه قد يكون وزن كتلة معينة من القطن يفوق وزن كتلة معينة من الحديد أضعافا .

وقد كان يمكن أن نستعمل الياء غير المشددة مع الهاء كوزن فعالية نحو رباعية وكراهية ورفاعية وطواعية وطماعية وشماعية ويمانية وهو وزن ملوف ، إلا أن التطق به قد يصعب لبعض الكلمات كما في «مقاومة» التي يعسر نطقها على مثل هذه الصيغة .

وزيادة الياء المشددة والهاء قد درج استعمالها في كلمات عصرية كثيرة مثل «استراتيجية وإمبريالية واقطاعية» للدلالة على النوع ، أو الوحدة أو الجمع مثل (اعمال خيرية) ونسب أخرى غيرها ولكنها عند استعمالنا أياها تدل على ما أشرنا إليه سابقا .

ونعتقد أنه لا ضرورة لتعداد الأمثلة على فوائد الأوزان أكثر مما أتينا على ذكرها لنؤكد أن الأوزان هي مزية اللغة العربية الكبرى التي يفضلها ستبوا مكانها رغم ما نستطيعه من مزايا أخرى .

ولا ضرب مثلا شاملا لكل ما جاء مستخدما فعل صبغ :

واننا نرى في عصرنا الحاضر ، عصر العلم والتنسيق ، محاولة على غرار ما توصل إليه العرب في عصرهم الفأبر ، هي ابتكار لغة مستنبطة من اللاتينية وفروعها لتكون لغة العالم ، وأعني بها لغة الإسبيرنتو - Esperanto وتتألف هذه اللغة من مصادر تضاف إليها زيادات في أولها وآخرها لتعبر كل زائدة عن الوظيفة المطلوبة من الكلمة ، وأن تكون القواعد شاملة ، كما أريد من أوزان اللغة العربية ، بصورة تسمح باتقان اللغة الجديدة في وقت قصير جدا . ولكن لم يكتب لهذه اللغة الانتشار لأحسب اللغات الأخرى لها . إلا أنه مهما كان مصير هذه اللغة الجديدة فإن ما يعيننا من أمرها هو أن نشرح إلى ما كان يتحلى به الإنسان العربي الأول من منطق سليم وصفاء في الذهن يجاري بهما ما يتمتع به أتسسان القرن العشرين من عقل علمي منهجي . فهل نستعين بهذا التراث ؟

5 - المصطلحات العربية الحديثة :

ان كثيرا من المصطلحات العلمية وجدت المعنى

مقاومة التماس هي أقل من مقاومة الحديد) . على أن مقاومة سلك معين من النحاس قد تفوق أضعاف مقاومة سلك معين من الحديد ، مثلما نقول أن القطن أخف من الحديد (ونعني بذلك الكثافة) على أنه قد يكون وزن كتلة معينة من القطن يفوق وزن كتلة معينة من الحديد أضعافا .

وقد كان يمكن أن نستعمل الياء غير المشددة مع الهاء كوزن فعالية نحو رباعية وكراهية ورفاعية وطواعية وطماعية وشماعية ويمانية وهو وزن ملوف ، إلا أن التطق به قد يصعب لبعض الكلمات كما في «مقاومة» التي يعسر نطقها على مثل هذه الصيغة .

وزيادة الياء المشددة والهاء قد درج استعمالها في كلمات عصرية كثيرة مثل «استراتيجية وإمبريالية واقطاعية» للدلالة على النوع ، أو الوحدة أو الجمع مثل (اعمال خيرية) ونسب أخرى غيرها ولكنها عند استعمالنا أياها تدل على ما أشرنا إليه سابقا .

ونعتقد أنه لا ضرورة لتعداد الأمثلة على فوائد الأوزان أكثر مما أتينا على ذكرها لنؤكد أن الأوزان هي مزية اللغة العربية الكبرى التي يفضلها ستبوا مكانها رغم ما نستطيعه من مزايا أخرى .

ولا ضرب مثلا شاملا لكل ما جاء مستخدما فعل صبغ :

— صبغ أصل الفعل
— الصبغة الحرفة
— الصباغ محترف الصباغة
— المصبغ الجهاز في الآلة (ان وجد) والذي يحمل الصباغ ويقوم بطبع اللون على النسيج (يقوم بعمل مباتس) .

— المصباغ الجهاز الذي تقاس به دقة الصباغة
— المصبغة آلة الصباغة — Machine
— المصبغة مكان الصبغ
— المصبوغ النسيج الذي يقبل الصباغة ، كان نقول « ان القطن صبوغ أما الحرير الاصطناعي فلا »
— المصبوغة تدل على التفاوت في قابلية الصباغة ، كان نقول « ان صبوغة القطن أكبر من صبوغة الكتان » .

وهكذا عدا الأوزان الأخرى المعروفة التي لم نذكرها والتي يعطى كل وزن منها معنى مختصرا وواضحا ولا سيما أن عينا معنى الوزن بدقة .

يكاد يخيل إلى أن العرب قد بلغوا في حقبة من الحقب السحيقة في التاريخ مرحلة من النضج

المطابق لها تماما ، سواء للفظ قديم وضع للفرض نفسه او لقريب منه ، وهناك كلمات أخرى ترجمت ترجمة حرفية ، واخرى صيغت ، واخرى عربت .

وقد كانت بعض الكلمات الموضوعية موفقة وبعضها الاخرى تنقصه الدقة بحسب قواعد اللغة وقد اوردت فيما تقدم من بحثي نهوجات منها ، ولا ضرورة للزيادة .

وسبب عدم الدقة على الغالب ضعف المترجمين احيانا ، او نزوات آخرين .

فالذي ترجم كلمة Adsorption مثلا بكلمة « ادمصاص » يعطى مثلا لمثل هذه النزوات (فكلمة Adsorption هي كلمة علمية مستحدثة في اللغة الفرنسية ، وضعت للتعبير عن حادثة فيزيائية هي دخول غاز او سائل دخولا سطحيا في جسم صلب ، كانها امتص الجسم الصلب الغاز او السائل الى عمق محدود . فهي ليست امتصاصا Absorption يدخل فيه الغاز او السائل الى الاعماق بل هي امتصاص سطحي كما قلت .

فقد تكون كلمة Adsorption الفرنسية نحنا من كلمتين هما Adhérer و Absorber وهي قاعدة جارية في اللغات الأجنبية . فهل نحنت واضع كلمة « ادمصاص » هذه الصيغة من كلمتي ادخل ومصن ؟ ما اظن ذلك .

اغلب الظن ان واضعها اخذ الجزء الاول من الكلمة الفرنسية ad واخذ الباقي من الكلمة العربية « ادمصاص » فكون كلمة هجينة لها الجرس العربي لتتماشى الكلمتان ادمصاص معا ، على نحو ما ورد مثيله على لسان العرب في الحبل على اللفظ والمعنى للمجاورة فقالوا : « الغدايا والعشايا » ولم يقولوا (الغدايا) اذا اقردها عن (العشايا) لانها (الفدوات) . وكما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ارجعن مأزورات غير مأجورات » واصلها « موزورات » فاجراها مجرى المأجورات للمجاورة بينهما .

او لعل واضع الصيغة جرى مجرى الزيادة ، فمن سنن العرب ادخال بعض الحروف على الاسم اما للمبالغة واما للتشويه والتقييح . فيقولون مثلا للكثيرة التسمع والنظر « سمعنة نظرنه » . كما يقولون « رعشن » للذي يرتعش لاننى سبب ، و « صلدم » للصلد الشديد وكذا .

ولكننا نرى في ادمصاص تبديلا وتغيرا لا زيادة

على كلمة ما . . على ان مجال الزيادات ضيق ، على العموم ، في اللغة العربية . الا انه في اللغات الأجنبية كـسبر ، وتخدم هذه الزيادات لاغراض مختلفة فمنها ما يضاف الى آخرها : ونشعر ، في كثير من الاحيان ، ونحن نترجم بعض المصطلحات ، التي لا يستوعبها وزن من اوزان اللغة العربية ، بحاجة لغتنا الى مثل هذه الزيادات ، ويا حبذا لو يتفق على ما يلزم منها ، لتصبح هذه الزيادات قياسية غسبر محصورة في الفاظ محدودة مثل رعشن وصلدم واضرابها .

على كل حال ، مهما كانت الحجج والاسباب التي تدرع بها واضع كلمة ادمصاص فاني ارى في هذه الصفة ضعفا لاسباب التالية :

(ا) اذا قبلنا الكلمة وارادنا الرجوع الى اصل الفعل نجده فعل « دمص » ومنه « ادمص - ادمصاص » على وزن « افعال - افعلا » مثل « اخضر - اخضرارا - وازور - ازورارا » . لكن وزن « افعال » هو وزن لازم ونحن نريد من « ادمص » ان تكون متعدية ليستقيم المعنى . فان قلنا « ادمص الحديد الازوت » نريد منها ان الحديد قد ابتلع الازوت . وهو ما لا يصح مع هذا الوزن كما يصح في ادمص الذي هو من وزن « افعال » المتعدى احيانا (واللازم احيانا) وليس افعال اللازم دوما .

(ب) لفعل « دمص » في اللغة معنى . فدمص الشيء - اسرع - ودمصت الكلبة بجروها : القته لغير تمام .

وفعل « دمص - دمصاص » الرجل معناه قتل شعر راسه .

فالصيغتان تدلان على نبذ الشيء ، والحادثة الفيزيائية عكس ذلك .

(ج) لو لم يراع المترجم المجاورة وصاغ الكلمة من فعل « دمق » لكان اقرب للمعنى . فدمق ودمق وادمق الشيء في الشيء ادخله ، والدميق المدخل في غيره ، كان نقول « ان الدميق المستعمل هو الازوت » . وعليه تكون ترجمة adsorption هي كلمة « اندماق » المشتقة من « اندمق » والتي تعنى ايضا الدخول بغير اذن ، وهو معنى قريب من المطلوب .

(د) ان فعل دمق فعل مهجور ، لكن صيغته

مستساغة . فان احببناه لهذه الحادثة فلا تشريب
علينا ، لان كثيرا من الكلمات قد تغيرت معانيها في
عصور مختلفة .

فالمؤمن والمسلم والكاثر والفاسق والصوم
والصلاة والزكاة والركوع السجود وكثير غيرها لم
تكن لها المعاني نفسها في الجاهلية كما نعرفها في صدر
الاسلام بعد ان شرعت شرائع وشرطت شرائط .
ومثل هذا جرى في العصور الاسلامية التالية سواء في
الفقه او الشعر او النحو او العروض او العلوم الاخرى
مما جعل للكثير من الصيغ مدلولاً لغوياً ومدلولاً
صناعياً . وهكذا فاننا نحن نطبق هذا في وقتنا الحاضر
لاستنباط كلمات من بطون المعجمات نعطيها لمصطلحات
جديدة وقد كان لها فيما مضى معان اخرى وهى اكثر
من ان تحصى ، ففي المصطلحات المعروضة على
مؤتمركم هذا الكثير منها ، وواجبنا ان نمحصها ونفقن
على توحيدها دون ان نخرج على قواعد اللفظة ، وهو
الشيء الاساسى الذي نتمناه .

6 - الخلاصة :

ما قصدت التزميت في قولى « عدم الخروج على
قواعد اللفظة » وانما قصدت السحر على سنن اللفظة
في الشمول والتعميم مع توسيع آفاق الاشتقاق لتضم
اطراف الحضارة الآخذة بالتوسع اخذاً مذهباً .

ولعل ادخال بعض الزيادات ينفع ايضا ليعطى
مجالات واسعة مما نفتقر اليه .

واغلب ظنى ان تقدم الحضارة وتوسع البحوث

والتحريات والكشوف ستطرح على اللفظة العربية
في يوم قريب مسألة التحري عن مصادر عربية
او غير عربية تشتق منها المعانى التى عليها ان تلبس
حاجة العصر . فهناك تراكيب كثيرة ثلاثية لم تستعمل
بعد على الرغم من خفتها وعدم تناثر حروفها .

فمن حروف كلمة ثلاثية مثل « كتب » يمكن تركيب
ست كلمات هى :

- كتب من الكتابة
- كبت صرع وانل
- بتك قطع
- بكت ضرب بالسيف او العصا ، او غلب
بالحجة
- تك ليس لها معنى
- تكب ليس لها معنى

فلماذا لا تكون الصيغتان الاخرتان مستعملتين؟

اننا نرحب بكلمات اعجبية مثل « تلفن » لترجمة

كلمة Téléphone و « تلفز » لترجمة كلمة Télévision

واضربهما لانها تجرى بسهولة على قواعد لغتنا في
التصريف والاشتقاق ، فلماذا نقصى تراكيب تصد
بالآلاف وقد يمكن ان تؤدي خدمات كثيرة ؟ لعل حفدانا
او اولادنا ، او لعلنا نحن سنلجأ الى استخدام التراكيب
غير المستعملة ، ففي ذلك مضاعفة لمفردات اللفظة ،
على ان نبتعد عن الكلمات المعقمة التى لا تتوالد
بحسب السنن التى وضعها اسلافنا وان نلتزم قواعد
عامية وشاملة متجنبيين الشذوذ ما امكن ، ففي لغتنا
منها ما يكفى على الرغم من منطق لغتنا الاصيل .